بسم ا الرحمن الرحيم



حديث: خلق الله التربة يوم السبت

بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من 14– 2010/7/15م

بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية

إعداد:

أ. د. شرف القضاة

كلية الشريعة – الجامعة الأردنية

التمهيد

- اشتدت الهجمة على الإسلام مع الانحسار الحضاري للأمة الإسلامية، وقد كانت هذه الهجمة من قبل أعداء الإسلام، وهذا لا غرابة فيه، ولكن الغريب أن يشارك في الهجمة بعض المسلمين الذين يذودون عن الإسلام بطريقة خاطئة تسيء إليه وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، وأغلب هؤلاء من الشيعة، وفلول المعتزلة، والعلمانيين المنتسبين للأمة، ومن غير المتخصصين.

- كل منا على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين الإسلام من قبله، ونحن اليوم على جبهة السنة النبوية الشريفة، التي يجب على كل عالم أن يذود عنها بكل ما أوتي من علم ومعرفة.

- مهمتنا نشر الإسلام بين المسلمين وغيرهم، والمحافظة عليه كما هو دون تغيير أو تبديل، وبخاصة السنة النبوية، تمحيصا وفهما صحيحا، حتى يتم نقله نقيا كما يريد الله تعالى إلى الأجيال القادمة.

- وسيكون بحثي هذا في أحد الأحاديث التي انتقدت قديما وحديثا من بعض المتخصصين، وهو حديث التربة.

- وسأجعل هذا البحث في تمهيد، وثلاثة مطالب وخاتمة، والمطالب هي:

المطلب الأول: نص الحديث ورواياته ودرجته.

المطلب الثاني: سند الحديث.

المطلب الثالث: متن الحديث.

راجيا من الله تعالى التوفيق والقبول

المطلب الأول: نص الحديث ورواياته ودرجته

نص الحديث:

قال الإمام مسلم رحمه ا : حدثني سريج بن يونُس وهارون بن عبدِ اللهِ قَالَا: حدثَنَا حجاج بن محمدٍ قَالَ: قَالَ ابن جريجٍ: أَخْبرنِي إِسماعِيلُ بن أُميةَ، عن أَيوب بن خَالِدٍ، عن عبدِ اللهِ بن رافِعٍ مولَى أُم سلَمةَ، عن أَبِي هريرةَ قَالَ: **أَخَذَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم بِيدِي فَقَالَ: خَلَقَ الله عز وجل التربةَ يوم السبتِ، وخَلَقَ فِيها الْجِبالَ يوم الْأَحدِ، وخَلَقَ الشجر يوم الِاثْنَينِ، وخَلَقَ الْمكْروه يوم الثلَاثَاءِ، وخَلَقَ النور يوم الْأَربِعاءِ، وبثَّ فِيها الدواب يوم الْخَمِيسِ، وخَلَقَ آدم علَيهِ السلَام بعد الْعصرِ مِن يومِ الْجمعةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ ساعةٍ مِن ساعاتِ الْجمعةِ فِيما بين الْعصرِ إِلَى اللَّيلِ**[1].

روايات الحديث:

- **المكروه، وفي رواية: التقن.** وهو: ما يقوم به المعاش، ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الأرض **[2].**
- **النور، وفي رواية: النون.** وهو الحوت [3] **.**

درجة الحديث:

---

[1] صحيح مسلم، 2149/4، رقم الحديث 2789، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

والسنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، باب سورة البقرة.

وصحيح ابن خزيمة، كتاب الجمعة، باب ذكر الساعة التي فيها خلق ا آدم من يوم الجمعة.

وصحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق.

ومسند أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة.

وسنن البيهقي الكبرى، كتاب السير، باب مبتدأ الخلق.

والطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى في المسند، وابن معين في التاريخ والعلل، وابن أبي حاتم في التفسير، وغيرهم.

[2] مشارق الأنوار للقاضي عياض 669/1، والمنهاج للنووي 133/17.

[3] مشارق الأنوار للقاضي عياض 57/2، والمنهاج للنووي 133/17.

صحح هذا الحديث جمهور المحدثين، ومن أشهرهم: الإمام مسلم، وابن خزيمة، وابن حبان، والبيهقي، وابن الجوزي، والشوكاني، ومن المعاصرين المعلمي، والألباني.

ولكن رد بعض المحدثين هذا الحديث، ومن أشهرهم: ابن المديني، والبخاري، وابن كثير، ومن المعاصرين شعيب الأرناؤوط.

ولكنهم لم يتفقوا على سبب رد الحديث، وتنقسم أسباب رد الحديث التي ذكروها إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: أسباب في السند.

القسم الثاني: أسباب في المتن.

وسأخصص لكل قسم مطلبا مستقلا.

المطلب الثاني: سند الحديث

اختلف العلماء الذين ردوا الحديث سندا في سبب رد الحديث على ثلاثة آراء وهي:

1. أن إسماعيل بن أمية لم يرو الحديث عن أيوب بن خالد، وإنما رواه عن إبراهيم بن أبي يحيى وهو متروك.

وأول من نُقل عنه أنه أعل سند هذا الحديث بهذه العلة هو ابن المديني (234هـ) فقال (وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى) وقد نقل البيهقي ذلك فقال: وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أيوب بن خالد ، وإبراهيم غير محتج به.

ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد ا الحافظ، أخبرني أبو يحيى أحمد بن محمد السمرقندي ببخارى، ثنا أبو عبد ا محمد بن نصر، حدثني محمد بن يحيى، قال : سألت علي بن المديني عن حديث أبي هريرة رضي ا عنه (خلق ا التربة يوم السبت) فقال علي: هذا حديث مدني؛ رواه هشام بن يوسف عن ابن جريج، عن إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن أبي رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة رضي ا عنه، قال: أخذ رسول ا صلى ا عليه وسلم بيدي.

قال علي(ابن المديني): وشبك بيدي إبراهيم بن أبي يحيى وقال لي: شبك بيدي أيوب بن خالد وقال لي: شبك بيدي عبد ا بن رافع وقال لي: شبك بيدي أبو هريرة رضي ا عنه وقال لي: شبك بيدي أبو القاسم صلى ا عليه وسلم وقال لي (خلق ا الأرض يوم السبت). فذكر الحديث بنحوه. قال علي بن المديني: وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى.

قال البيهقي: وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الربذي عن أيوب بن خالد، إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف، وروي عن بكر بن الشرود، عن إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم، عن أيوب بن خالد، وإسناده ضعيف وا أعلم [4].

---

[4] الأسماء والصفات للبيهقي 2 /352، الشاملة.

المناقشة:

إن العلماء – ومنهم البخاري- لم يتابعوا ابن المديني على هذا، وذلك لأمرين:

- أن إسماعيل ثقة ثبت، فلا يصح أن يشكك في روايته عن أحد شيوخه إلا بدليل.
- أن ابن المديني لم يذكر ما يدل على ما قال، ومجرد رواية ابن المديني الحـديث عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أيوب بن خالـد لا يكفـي للتـشكيك فـي روايـة إسماعيل.

ولا حاجة للقول بعد ذلك بأنه قد توبع من موسى بن عبيدة، لأن إسماعيل ثقة فلا يحتاج إلـى متابعة لقبول روايته، ولأن موسى ضعيف.

ولا صحة للقول بأنه قد توبع من حجاج بن محمد، كما هو عند أبي يعلى في المسند، لأن حجاج لم يرو عن أيوب بن خالد شيئا، فهو ليس من شيوخه.

2. أن الحديث غير مرفوع إلى النبي صلى ا عليه وسلم، بل هو موقوف على كعب رضي ا عنه.

وأشهر من أعل الحديث بهذا هو البخاري حيث قال: وروى إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد الأنصاري عن عبد ا بن رافع عن أبى هريرة عن النبي صلى ا عليه وسلم قال: خلق ا التربة يوم السبت، وقال بعضهم عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح [5].

المناقشة:

يرى بعض غير المتخصصين أن كلام البخاري ينبغي أن لا يناقش من المحدثين، لأن المحدثين حسب زعمهم يرون أن كل ما يقوله البخاري فهو صحيح.

وهذا كلام غير صحيح فإن أحدا من المحدثين لم يقل ذلك، ولكن المحدثين يقولون: إن كل ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة صحيح بمجموع طرقه، سوى أحرف يسيرة، وهم يقولون ذلك لا بسبب كلام البخاري ورأيه، وإنما بسبب اقتناعهم بهذا بعد دراسة كتابه الصحيح، وهو ما أطبق عليه المحدثون جيلا بعد جيل.

---

[5] التاريخ الكبير للبخاري، ترجمة أيوب بن خالد.

فليس العجب إذن في موقف المحدثين، وإنما العجب من الذين يخطئون البخاري في أحاديث كثيرة، ولكنهم يتمسكون بقوله هذا دون أن يحيدوا عنه.

يلاحظ على كلام البخاري ما يلي:

- لم يذكر البخاري ما يدل على أن الحديث ليس مرفوعا.
- أن أبا هريرة يصرح بأنه أخذ الحديث مباشرة عن النبي صلى ا عليه وسلم لا عن غيره، فقد قال أبو هريرة فيه (أخذ رسول ا صلى ا عليه وسلم بيدي فقال: خلق ا التربة يوم السبت ...) ومعلوم أن هذا من أقوى عبارات التصريح بالتحمل المباشر.
- لم يذكر البخاري من هذا البعض الذي قال ذلك، ولم يذكر ما هي روايته، لنعلم حاله، وحال روايته، ولنستطيع المقارنة بينها وبين رواية مسلم، وهل تقدم روايته على رواية مسلم أم لا؟.
- بعد تتبع روايات الحديث من كافة المصادر التي وصلتنا لم نجد رواية لهذا الحديث – صحيحة أو ضعيفة - بهذا اللفظ أو بالمعنى عن كعب من قوله، دون أن يرفعه إلى النبي صلى ا عليه وسلم، مما يشكك كثيرا في دقة ما ذكره البخاري.
- أن البخاري قال: وهو أصح، وهذا ليس طعنا في صحة الحديث المرفوع.
- أن المحفوظ عن كعب وغيره من مسلمة أهل الكتاب نقلا عن أهل الكتاب أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد، وأن ا – تعالى عما يقولون علوا كبيرا - قد استراح يوم السبت، بينما الحديث يبين أن الخلق بدأ يوم السبت.
- أنه لو صح أن الحديث من كلام كعب فمن أين جاء كعب بهذا الكلام؟ لا شك أنه لا يمكن أن يكون من قبيل الرأي والاجتهاد، ولا يمكن أن يكون من أهل الكتاب لأنه يخالف ما عندهم، فلا بد أن يكون قد سمعه من النبي صلى ا عليه وسلم.

ويبدو أن البخاري إنما قال هذا لأنه ظن أن في الحديث مخالفة للقرآن الكريم، ولما لم يجد مطعنا في السند، ولم يرتض كلام شيخه ابن المديني أعل الحديث بأنه موقوف، ولكنه رأي يعترض عليه بما سبق.

3. أن في سند الحديث أيوب بن خالد وفيه ضعف.

وبعد النظر في ما قاله العلماء فيه نجد أن جمهور من أعلوا الحديث – وعلى رأسهم ابن المديني والبخاري - لم يضعفوا أيوب بن خالد، ولم يضعفه إلا الأزدي حيث قال (ليس حديثه بذاك، تكلم فيه أهل العلم بالحديث، وكان يحيى بن سعيد ونظراؤه لا يكتبون حديثه) [6].

المناقشة:

يجاب عن ذلك بأمور:

- لم يذكر الأزدي من هم أهل العلم الذين تكلموا في أيوب بن خالد، ولم نجد في كتب الجرح والتعديل من تكلم فيه.
- أما قوله إن يحيى بن سعيد ونظراءه كانوا لا يكتبون حديثه، فهذا لم يصح، ثم لماذا احتج بذلك – إن صح – ولم يحتج بكتابة كثير من العلماء لحديثه ومنهم ابن معين على شدة تثبته، ومسلم وغيرهما ؟.
- ثم إن الأزدي نفسه مع انفراده بتضعيفه مجروح، فلا يقبل كلامه فيه، وهذا ما صرح به كثير من العلماء مثل ابن حجر حيث قال: ولا عبرة بقول الأزدي لأنه ضعيف فكيف يعتمد في تضعيف الثقات؟! [7].

---

[6] تهذيب التهذيب لابن حجر 351/1.

[7] هدي الساري لابن حجر 386، دار المعرفة، بيروت.

المطلب الثالث: متن الحديث

تعددت الأسباب التي أعل بعض العلماء الحديث بها وهي:

الإشكال الأول: أن الحديث يعارض القرآن الكريم من وجوه:

- أن الحديث يذكر سبعة أيام، بينما القرآن الكريم يصرح بستة أيام.
- أن الحديث ليس فيه ذكر لخلق السموات.
- أن الحديث يذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام، بينما القرآن الكريم يذكر أنها أربعة أيام.

فهو يعارض قوله تعالى {الله الَّذِي خَلَقَ السماواتِ والْأرض وما بينَهما فِي سِتةِ أَيام} [8]، فهي ستة أيام، والحديث يذكر سبعة أيام.

وقد بين ا تعالى في آيات أخرى تفاصيل هذه الأيام فقال سبحانه { قُلْ أَئِنكُم لَتَكْفُرون بِالَّذِي خَلَقَ الْأرض فِي يومين وتَجعلُون له أَنْدادا ذَلِك رب الْعالَمِين (9) وجعلَ فِيها رواسِي مِن فَوقِها وبارك فِيها وقَدر فِيها أَقْواتَها فِي أَربعةِ أَيامٍ سواء لِلسائِلِين (10) ثُم استَوى إِلَى السماءِ وهِي دخَان فَقَالَ لَها ولِلْأَرضِ اِئْتِيا طَوعا أَو كَرها قَالَتَا أَتَينَا طَائِعِين (11) فَقَضاهن سبع سمواتٍ فِي يومين وأَوحى فِي كُلِّ سماءٍ أَمرها وزينا السماء الدنْيا بِمصابِيح وحِفْظًا ذَلِك تَقْدِير الْعزِيز الْعلِيمِ (12) }[9].

وهكذا فإن ا خلق الأرض في يومين، وخلق فيها الجبال وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في يومين آخرين، وخلق السماوات في يومين.

وهكذا فإن الحديث من مختلف الحديث، وسأذكر ببعض القواعد والملحوظات المعتمدة في التعامل مع هذا الحديث.

---

[8] سورة السجدة، من الآية 4.

[9] سورة فصلت 9-12.

القواعد:

أولا: مختلف الحديث [10].

وهو: الحديث الذي يخالف دليلا.

سواء كان الدليل شرعيا (آية أو حديثا) أو عقليا أو حسيا.

ومعلوم أن للعلماء في إزالة الاختلاف وحل الإشكال آراء متعددة، ولكنني بعد دراسة الآراء دراسة مستفيضة دقيقة توصلت إلى أن الراجح هو وجوب اتباع الترتيب التالي:

1- رد الضعيف.

2- النسخ الصريح.

3- الجمع والتوفيق.

4- النسخ غير الصريح.

5- الترجيح.

6- التوقف.

ثانيا: أقسام التعارض بين القرآن والحديث

لا شك أن القرآن الكريم كله قطعي الثبوت، ولكن أكثره ظني الدلالة.

كما أن الحديث النبوي منه ما هو قطعي الثبوت، وهو الحديث المتواتر، وهو قليل جدا، والباقي ظني الثبوت، ومنه ما هو قطعي الدلالة، ومنه ما هو ظني الدلالة.

وهكذا فإن ما كان قطعي الدلالة في القرآن الكريم يمكن أن نسميه حقيقة قرآنية، وما كان ظني الدلالة – أي له أكثر من معنى، ولم يتفق العلماء على معناه - يمكن أن نسميه ظنا قرآنيا.

---

[10] لمزيد من التفصيل انظر بحثي (علم مختلف الحديث، أصوله وقواعده) المنشور في مجلة دراسات، الجامعة الأردنية.

وما كان من الحديث متواترا وقطعي الدلالة يمكن أن نسميه حقيقة حديثية، وما كـان من الحديث ظني الثبوت أو ظني الدلالة أو ظني الثبوت والدلالة فيمكن أن نسميه ظنا حديثيا.

وبناء على ذلك فإن التعارض المحتمل بين بعض الآيات وبين بعض الأحاديث لـيس قسما واحدا، بل هو أربعة أقسام، ولكل واحد منها الحل المناسب لها، وهذه الاحتمالات هي:

1. تعارض حقيقة حديثية مع حقيقة قرآنية، وهذا الاحتمال مستحيل، ولا يمكن أن تجـد لـه مثالا واحدا.
2. تعارض ظن حديثي مع حقيقة قرآنية، وهذا ممكن، وهنا تقدم الحقيقة القرآنية على الظـن الحديثي.
3. تعارض حقيقة حديثية مع ظن قرآني، وهذا ممكن أيضا، وهنا نقدم الحقيقة الحديثية علـى الظن القرآني.
4. تعارض ظن حديثي مع ظن قرآني، وهذا موجود، وأكثر الأمثلة التي تذكر هي من هـذا القسم، وفي هذه الحالة، ينبغي النظر في القرائن التي ترجح أحد الظنين على الآخر.

ثالثا: ينبغي شرح الآيات والأحاديث المتعلقة بالكون بحسب قوانين الكون المعروفة التي خلقها ا تعالى، إلا إذا دل دليل على غير ذلك في حالة خاصة، فيكون ذلك من خوارق العادات.

الملحوظات:

أولا: إن (ثم) في قوله تعالى { ثُم استَوى إِلَى السماءِ} يمكن أن تكون للترتيب الرتبي، وليست للترتيب الزمني، هذا هو الراجح، حيث ثبت علميا أن الأرض خلقت بعد الـسموات، ولـيس العكس.

ثانيا: أن المراد بخلق المذكورات هو خلق أصولها، كما في خلـق آدم فهـو أصـل الجـنس البشري، أما فروع المخلوقات فهي في خلق مستمر لا يتوقف.

ثالثا: كلمة (اليوم) الواردة في القرآن تعني المرحلة الزمنية، وهي قطعا ليست اليـوم الـذي نعرفه الآن، لأن اليوم الذي نعرفه الآن إنما هو نتيجة دوران الأرض دورة كاملة حول نفسها

أمام الشمس، وفي بداية الخلق لم تكن الأرض والشمس موجودتان، ولما خلقت الأرض وبدأت بالدوران حول نفسها كان اليوم حوالي ست ساعات فقط.

ومما يدل على ذلك أن القرآن الكريم ذكر يوما بألف سنة، ويوما بخمسين ألف سـنة، وذكر أياما كأيامنا، فهل بين هذه الآيات تعارض؟.

وأيضا فإن مما لا شك فيه أن (اليوم) في عصرنا يختلف من كوكب إلى آخـر فـي مجموعتنا الشمسية، وهي ليست شيئا يذكر بالنسبة للكون المعروف.

وقد تبين علميا أن كل يوم من الأيام المذكورة في خلق السموات والأرض تبلغ مئات الملايين من السنين.

رابعا: يلاحظ أن مخرج الحديث واحد، فكل رواياته عن أبي هريرة، وفي هذه الحالة يكـون الراجح أن تعدد الروايات من باب الرواية بالمعنى أو الخطأ، فيلجأ إلـى التـرجيح إن كـان المعنى مختلفا.

وعليه فإن رواية التقن بدل المكروه يمكن أن تكون من قبيل الروايـة بـالمعنى، لأن العلماء فسروا المكروه بالحديد وما شاكله من معادن الأرض.

وأما رواية (النون) بدل (النور) فليست كذلك، فينبغي التـرجيح هنـا، ولا شـك أن الراجح سندا هي رواية (النور) ولكن يؤخذ على هذه الرواية أن النور لا يمكن – علميا – أن يكون بعد الشجر بمرحلتين، فالشجر لا بد له من النور.

ولذلك فإن الراجح هي رواية (النون) وهو الحوت، وتكون رواية (النور) من قبيـل التصحيف، وبخاصة أن كلمة النور هي التي تسبق إلى السمع والبصر.

حل الإشكال:

بما أن الحديث صحيح، ولا يمكن أن يكون فيه نسخ لأنه في الأخبار، فيتعين الجمع والتوفيـق إن أمكن، ولا يجوز الانتقال إلى غيره إلا إذا تعذر.

فهل يمكن الجمع والتوفيق بين الحديث والقرآن؟.

الجواب: نعم يمكن حل الخلاف الظاهري بين الحديث والقرآن بطرق متعددة منها:

1. أن الحديث يتكلم عن خلق السموات والأرض، ولكن الأيام الستة المذكورة في القرآن لم تذكر آدم عليه السلام، فليس داخلا في الأيام المذكورة في القرآن الكريم، فيكون الحديث قد ذكر الأيام الستة التي ذكرها القرآن الكريم، ثم أضاف معلومة جديدة هي: خلق آدم بعد ذلك أي في اليوم السابع، وبهذا لا تعارض بين الحديث والقرآن.

المناقشة:

القول بأن خلق آدم عليه السلام غير داخل في الأيام المذكورة في القرآن الكريم رأي قوي، فآدم عليه السلام ليس سماء ولا أرضا ولا قوتا.

لكن يؤخذ على هذا الرأي ما يلي:

- أن الحديث لم يذكر خلق السماوات.

ويمكن الإجابة عن ذلك بأن خلق النور إنما هو إشارة إلى خلق السماوات، لكن هذا يوم واحد فأين اليوم الثاني؟ قالوا: إنه يوم خلق الدواب لأنها محتاجة إلى الحرارة، ولكن هذا الجواب فيه تكلف واضح، فإن الشجر محتاج كذلك إلى الحرارة فهذا يوم ثالث، والصحيح أن الشجر والدواب إنما هي من خلق الأرض، وهي من أقواتها للإنسان والحيوان.

- أن الحديث لم يذكر خلق الأرض، وإنما ذكر خلق التربة، والتربة غير الأرض، وإنما هي قشرة رقيقة على سطحها، وفي القول بأنها هي الأرض تكلف وبعد.
- لو سلمنا بأن التربة هي الأرض فهناك إشكال آخر وهو أن التربة خلقت في يوم واحد بينما يصرح القرآن الكريم بأن الأرض خلقت في يومين، ولم أجد من أورد هذا الاعتراض.
- أن الحديث يذكر أن خلق الجبال والأقوات (الشجر والدواب) خلقت في ثلاثة أيام، بينما يصرح القرآن الكريم أنها خلقت في يومين فقط، ولم أجد من أورد هذا الاعتراض أيضا.

ولذلك فإن هذا الرأي ضعيف كما ترى، وفيه إشكالات عديدة لا جواب عنها، أو في الجواب عنها تكلف.

2. أن الحديث يتحدث عن خلق السموات والأرض، ولكن الأيام الواردة في القـرآن الكـريم غير الأيام الواردة في الحديث الشريف، وإن أي زمن يمكن تقسيمه إلى مراحـل زمنيـة مختلفة، تكثر وتقل بحسب طريقة التقسيم، وبحسب المراد بكل قسم منها، فيمكن أن يكون اليوم المذكور في القرآن غير اليوم المذكور في الحديث.

وبعبارة أخرى فإن زمن الأيام الستة المذكورة في القرآن الكريم تساوي زمن الأيام السبعة المذكورة في الحديث، يعني فهي أيام أقصر قليلا من الأيام المذكورة في القرآن الكريم.

فيكون معنى الآية أن ا خلق السموات في مرحلتين، والأرض والجبال والأقوات في أربع مراحل، أو في ستة مراحل مع تزامن مرحلتين منها مع خلق السموات، وكل ذلـك دون تصريح بالترتيب.

ويكون معنى الحديث أن ا خلق كل ذلك مع آدم في سبع مراحـل، والجديـد فـي الحديث أن فيه تفصيلات أكثر، وفيه ترتيب واضح من خلال ذكر الأيام، التي لا يراد بها الأيام التي نعرفها، بل يراد بها الترتيب بدلا من القول أولا وثانيا وثالثا وهكذا.

المناقشة:

للوهلة الأولى يظن أن في هذا الرأي شيء من القوة، وأنه يحل الإشكال، ومع ذلك فإنه يؤخذ عليه ما يلي:

- أن الحديث لم يذكر خلق السموات.
- أنه لم يذكر خلق الأرض بل ذكر خلق التربة، فإن قيل التربة هي الأرض، فهناك إشكال آخر وهو أن خلق الأرض في يومين، بينما خلق التربة في يوم واحد، وبما أن أيام الحديث أقصر فينبغي أن تكون خلقت في أكثر من يومين.
- الحديث يذكر أن خلق الجبال والأقوات (الشجر والدواب) خلقت في ثلاثة أيـام لا في يومين، فهي أيام أقصر كثيرا من الأيام المذكورة في القرآن الكريم.

3. أن الحديث يتحدث عن موضوع آخر غير ما تتحدث عنه الآيات، فالآيات تتحـدث عـن خلق السموات والأرض، والحديث يتحدث عن مراحل تطور الأرض بعد خلقها بأيام غير الأيام المذكورة في القرآن الكريم.

المناقشة:

مما يؤيد هذا الرأي أن الحديث لا يذكر السماوات، ولا الأرض، وإنما يذكر التربة، وهي مرحلة من مراحل تطور الأرض.

ولكن يؤخذ على هذا الرأي ما يلي:

- أن القرآن الكريم يذكر الجبال وهي مرحلة من مراحل تطور الأرض.
- وأن القرآن الكريم يذكر خلق الأقوات من شجر ودواب وهي مرحلة من مراحل التطور على الأرض.

ولذلك فلا يصح القول بأن ما في القرآن الكريم هو خلق السموات والأرض، وما في الحديث هو التطور الذي حدث على الأرض، لأن بينما تداخلا واضحا جعل جمهور العلماء يرى أن الآيات والحديث يتحدثان عن شيء واحد.

4. أن الحديث يفصل اليومين الأخيرين فقط من خلق الأرض وهي قوله تعالى { وجعلَ فِيها رواسِي مِن فَوقها وبارك فِيها وقَدر فِيها أَقْواتَها فِي أَربعةِ أَيامٍ سواء لِلسائِلين}.

المناقشة:

يؤيد هذا الرأي:

أن الحديث لم يذكر خلق السموات والأرض، وإنما ذكر خلق التربة، والجبال، والشجر، والمكروه، والنور، والدواب، وآدم عليه السلام، وكلها ليست سماء ولا أرضا.

ولكن يؤخذ على هذا الرأي أن النور من السماء وليس من الأرض، ويجاب عن هذا بأن الراجح رواية (النون) لما ذكرت سابقا.

الترجيح:

بعد النظر في الآراء السابقة، وما يؤيدها، وما يؤخذ عليها فإن من الواضح أن الرأي الرابع هو الراجح، وا أعلم.

الإشكال الثاني: أن الحديث من الإسرائيليات [11].

وقد قال بهذا عدد من العلماء، وهم يريدون بذلك أنه حديث مردود، ولكنهم لم يذكروا ما يـدل على ذلك، ويمكن أن يجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

1. أن هذا لا يمكن أن يكون، وإن كان قال به بعض كبار العلماء، وذلك لسبب واضح غـاب عن بال من قالوا بذلك، وهذا السبب هو: أن هذا الحديث متعارض تماما مع عقيدة اليهود، فعقيدتهم أن ا خلق الكون في ستة أيام واستراح يوم السبت، بينما يبين الحديث أن ا بدأ الخلق يوم السبت، فكيف يكون هذا الحديث من اليهود!!!.
2. أننا لو قارنا بين الحديث وبين ما ورد لوجدنا أنه لا علاقة بينهما، وإليك النص الذي ورد في الإصحاح الأول والثاني من سفر التكوين في العهد القديم كما هو بأخطائـه اللغويـة والعلمية:

1: 1 في البدء **خلق ا السموات و الارض**

1: 2 و كانت الارض خربة و خالية و على وجه الغمر ظلمة و روح ا يرف على وجه المياه

1: 3 و قال ا **ليكن نور فكان نور**

1: 4 و رأى ا النور انه حسن و فصل ا بين النور و الظلمة

1: 5 و دعا ا النور نهارا و الظلمة دعاها ليلا و كان مساء و كان صباح **يوما واحدا**

1: 6 و قال ا ليكن جلد في وسط المياه و ليكن فاصلا بين مياه و مياه

1: 7 فعمل ا الجلد و فصل بين المياه التي تحت الجلد و المياه التي فوق الجلد و كان كذلك

1: 8 و دعا ا الجلد سماء و كان مساء و كان صباح **يوما ثانيا**

1: 9 و قال ا لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد **و لتظهر اليابسة و كان كذلك**

1: 10 و دعا ا اليابسة ارضا و مجتمع المياه دعاه بحارا و رأى ا ذلك انه حسن

---

[11] الإسرائيليات هي: ما جاء عن بني إسرائيل (اليهود والنصارى) أن الإسرائيليات شرعا وعقلا ليست مقبولة كلها، ولا مردودة كلها، والصحيح فيها أن ما جاء مخالفا لصريح القرآن الكريم أو الحديث النبـوي الـشريف رددناه، وما جاء موافقا لأحدهما قبلناه، وما جاء محايدا – أي غير موافق ولا مخالف - توقفنا فيه، ولذلك قال رسول ا صلى ا عليه وسلم (حدثُوا عن بني إسرائِيلَ ولا حرج) ولو أننا رددنا كل ما وافـق مـا عنـدهم لرددنا بعض الآيات القرآنية التي يتوافق مضمونها مع ما هو موجود حتى الآن في التوراة أو الإنجيل.

1: 11 و قال ا لتنبت الارض عشبا و بقلا يبزر بزرا و شجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الارض و كان كذلك

1: 12 **فاخرجت الارض عشبا و بقلا يبزر بزرا كجنسه و شجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه** و راى ا ذلك انه حسن

1: 13 و كان مساء و كان صباح **يوما ثالثا**

1: 14 و قال ا لتكن انوار في جلد السماء لتفصل بين النهار و الليل و تكون لايات و اوقات و ايام و سنين

1: 15 و تكون انوارا في جلد السماء لتنير على الارض و كان كذلك

1: 16 **فعمل ا النورين العظيمين النور الاكبر لحكم النهار و النور الاصغر لحكم الليل و النجوم**

1: 17 و جعلها ا في جلد السماء لتنير على الارض

1: 18 و لتحكم على النهار و الليل و لتفصل بين النور و الظلمة و راى ا ذلك انه حسن

1: 19 و كان مساء و كان صباح يوما رابعا

1: 20 و قال ا لتفض المياه زحافات ذات نفس حية و ليطر طير فوق الارض على وجه جلد السماء

1: 21 **فخلق ا التنانين العظام و كل ذوات الانفس الحية الدبابة** التي فاضت بها المياه كاجناسها و كل طائر ذي جناح كجنسه و راى ا ذلك انه حسن

1: 22 و باركها ا قائلا اثمري و اكثري و املاي المياه في البحار و ليكثر الطير على الارض

1: 23 و كان مساء و كان صباح **يوما خامسا**

1: 24 و قال ا لتخرج الارض ذوات انفس حية كجنسها بهائم و دبابات و وحوش ارض كاجناسها و كان كذلك

1: 25 فعمل ا وحوش الارض كاجناسها و البهائم كاجناسها و جميع دبابات الارض كاجناسها و راى ا ذلك انه حسن

1: 26 و قال ا نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر و على طير السماء و على البهائم و على كل الارض و على جميع الدبابات التي تدب على الارض

1: 27 **فخلق ا الانسان على صورته على صورة ا خلقه ذكرا و انثى خلقهم**

1: 28 و باركهم ا و قال لهم اثمروا و اكثروا و املاوا الارض و اخضعوها و تسلطوا على سمك البحر و على طير السماء و على كل حيوان يدب على الارض

1: 29 و قال ا   اني قد اعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الارض و كل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا لكم يكون طعاما

1: 30 و لكل حيوان الارض و كل طير السماء و كل دبابة على الارض فيها نفس حية اعطيت كل عشب اخضر طعاما و كان كذلك

1: 31 و راى ا   كل ما عمله فاذا هو حسن جدا و كان مساء و كان صباح **يوما سادسا**

الإصحاح الثاني

2: 1 فاكملت السماوات و الارض و كل جندها

2: 2 **و فرغ ا   في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل.**

وإليك هذا الجدول للمقارنة:

اليوم	التوراة	الحديث
السبت	استراحة	التربة
الأحد	السماوات والأرض والنور	الجبال
الإثنين	فصل السماء عن المياه	الشجر
الثلاثاء	ظهور اليابسة والشجر	المكروه
الأربعاء	الشمس والقمر والنجوم	النون
الخميس	الدواب	الدواب
الجمعة	الإنسان	آدم

وهكذا يتضح لنا أن التوافق ظهر جليا في يومي الخميس والجمعة فقط، ويظهر التعارض جليا في خمسة أيام، ويظهر أيضا في اليوم الذي بدأ فيه الخلق حيث يقولون إنه الأحد، أما الحديث فيبين أنه السبت، ويتعارض أيضا في ادعائهم أن ا – سبحانه وتعالى - استراح في اليوم السابع.

3. أن كل ما روي عن عبد ا بن سلام رضي ا عنه وعن كعب الأحبار ووهب بن منبه رحمهما ا مخالف كثيرا لما هو في الحديث الذي رواه أبو هريرة.

فهل يمكن بعد ذلك كله أن يكون الحديث قد جاءنا من عند أهل الكتاب!!!.

الإشكال الثالث: أن الحديث يخالف ما عليه أهل التفسير والتاريخ.

قال البيهقي: وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ لمخالفته ما عليه أهل التفسير وأهل التواريخ .

والجواب عن هذا أن أهل التفسير والتاريخ أخذوا هذا عن أهل الكتاب، ومعلوم أن كتبهم محرفة، وكلامهم فيه تعارض مع حديث صحيح، كما أنه متعارض مع العلم التجريبي، فلا عبرة به.

الإعجاز العلمي في الحديث:

لا شك أن العلم التجريبي قد تقدم كثيرا في القرنين الأخيرين، وقد توصل إلى كثير من الحقائق حول بداية الكون وتطوره، وكما أن مخالفة حقائق العلم التجريبي يمكن – نظريا – أن تكون علة قادحة في متن الحديث فإن موافقة المكتشفات الحديثة قد تقوي الحديث الضعيف، وتزيد الحديث القوي قوة.

وباستثناء المكروه الذي لا يعرف معناه على وجه التحديد فإن الحقائق العلمية تؤيد كل ما جاء في الحديث بالترتيب المذكور وهو: 1- التربة 2- الجبال 3- الشجر 4- النون (الكائنات البحرية) 5- الدواب (الكائنات البرية) 6- آدم عليه السلام.

ولا يمكن أن يكون هذا بمحض الصدفة، فإن احتمال أن يكون هذا بالصدفة هو 720/1، فمن المستحيل عادة أن يقول هذا إنسان من رأيه واجتهاده، ولا شك أنه مما أوحى ا به إلى نبيـه صلى ا عليه وسلم، فالحديث فيه إعجاز علمي واضح.

نتائج البحث

1. الحديث الصحيح أن سند الحديث لا مطعن فيه، وأن كل الشبهات حول ضعفه سندا غيـر ثابتة.

2. التعارض بين الحديث وبعض الآيات أقسام متعددة: فإن تعارض المعنى الظني مع القطعي قدم القطعي، وإن تعارض المعنى الظني مع الظني يكون الترجيح بالأدلة والقرائن.

3. يمكن الجمع بين حديث (خلق ا التربة يوم السبت) وبين القرآن الكريم بعدة طرق، ولذلك فإن الحديث لا يعارض القرآن حقيقة.

4. الراجح في الجمع بين الحديث والقرآن الكريم أن الحديث يفصل ما حدث في الأرض في يوميها الأخيرين فقط، ولا يتحدث عن خلقها ولا عن خلق السماء.

5. من خلال المقارنة بين ما ورد في التوراة وبين الحديث فلا صحة للقول بأن الحديث مـن الإسرائليات، علما بأن الحديث لا يرد لمجرد أنه يشبه بعض ما عند أهـل الكتـاب، وإلا فسنرد بعض الآيات، ولذلك لا بد أن تكون معارضة للحقائق الإسلامية.

6. لا عبرة بكلام المفسرين والمؤرخين في هذا الموضوع لأنه منقول عن أهل الكتاب وجاء في الحديث ما يدل على خلافه.

والحمد رب العالمين